(مفهوم العَود الأبدي في فن النحت السومري)

(The concept of eternal return in Sumerian sculpture)

محمد علوان كاظم

Mohammed Alwan Kazim

جامعة القادسية / كلية الفنون الجميلة

University of Al-Qadisiyah / College of Fine Arts

ملخص البحث:

تعنى هذه الدراسة بالإبداعات التشكيلية التي تعود الى حضارة بلاد النهرين، وقد تعنونت ب(مفهوم العود الأبدي في فن النحت السومري)، تضمن البحث أربعة فصول، احتوى الفصل الأول الإطار المنهجي للبحث بدءا بالمشكلة التي انتهت بالاستفهام الآتي: ما هي توظيفات مفهوم (العود الأبدي) في فن النحت السومري؟ أما أهمية البحث فتتلخص في محاولة تسليط الضوء على أبعاد مفهوم (العود الأبدي) في منحوتات العصر السومري، مما يشكل قراءة جديدة للنصوص النحتية لبلاد النهرين بتسلسلاتها التأريخية، ويتلخص هدف البحث في التعرف إلى مفهوم (العود الأبدي) في فن النحت السومري، كما تضمن الفصل حدود البحث التي حددت موضوعيا بالمنتج النحتي (البارز والأختام الاسطوانية)، ومكانيا بلاد النهرين، وزمانيا (3500–2370) ق.م، تليها تعريف مصطلحات عنوان البحث التي استعملت في الإطار النظري واجراءات البحث،في حين تضمن الفصل الثاني الإطار النظري والدراسات السابقة للبحث، قسم على ثلاثة مباحث أساسية، عني الأول ب(مفهوم العود الأبدي)، وقد جاء المبحث الثاني تحت عنوان (العود الأبدي في فكر بلاد النهرين) ، كما تعنون المبحث الثالث (العود الأبدي في فنون بلاد النهرين)، أما الفصل الثالث فتضمن الإطار الإجرائي الذي ضم مجتمع البحث، إذ شمل منحوتات العصر السومري (البارزة والأختام والاسطوانية) وقد بلغ عددها(25) أنموذجاً، تم اختيار (3) نماذج كعينة للبحث، اختيرت بطريقة قصدية وفقا لأسباب سوغها الباحث لتحقيق هدف البحث، كما

اعتمد الباحث على المؤشرات المعرفية التي أسفر عنها الإطار النظري كأداة للبحث، أما منهج البحث فهو(الوصفي التحليلي) بوصفه المنهج المتبع في الدراسات الفنية والجمالية، تليها تحليل نماذج عينة البحث، أما الفصل الرابع فقد كان عرضا لأهم النتائج التي توصل إليها الباحث بعد تحليل النماذج النحتية التي مثلت عينة البحث وفي ضوء تلك النتائج توصل الباحث إلى جملة من الاستنتاجات, تليها التوصيات التي يرى فيها الباحث ما يخدم ويطور حركة النتاج الفني في العراق، ومن ثم وضع الباحث بعض المقترحات لمواصلة الدراسة استنادا لما أثاره البحث من مواضيع جديدة، وفي الختام وضعت المصادر والمراجع التي أسهمت في التأسيس النظري للبحث.

الكلمات المفتاحية: العود الأبدي، الفكر السومري، فن النحت السومري

Abstract

This study deals with the plastic creations that go back to the civilization of Mesopotamia, and it was titled (The concept of eternal return in Sumerian sculpture). The research included four chapters. The first chapter contained the methodological framework of the research, starting with the problem that ended with the following question: What are the representations of the concept of the eternal return in the art of Sumerian sculpture? The importance of the research is summarized in the attempt to shed light on the dimensions of the concept of (eternal return) in the sculptures of the Sumerian era, which constitutes a new reading of the sculptural texts of Mesopotamia with its historical sequences. The aim of the research is summarized in identifying the concept of (eternal return) in the art of Sumerian sculpture. The chapter also included the limits of the research that were determined objectively by the sculptural product (relief and cylinder seals), spatially Mesopotamia, and temporally (3500-2370).BC, as the researcher defined the terms of the research title that were used in the theoretical framework and research procedures, while the second chapter included the theoretical framework and previous studies of the research, as it included three basic topics, the first of which dealt with (the concept of eternal return), and the second

topic came under the title (eternal return in the thought of Mesopotamia),The third section is titled (The Eternal Return in the Arts of Mesopotamia), while the third chapter included the procedural framework that included the research community, as it included the sculptures of the Sumerian era (reliefs, seals, and cylinders), and their number reached (25) models. (3) models were chosen as a sample for the research, and they were chosen intentionally according to reasons justified by the researcher.To achieve the research objective, the researcher relied on the cognitive indicators that resulted from the theoretical framework as a research tool. The research method is (descriptive analytical) as it is the method followed in artistic and aesthetic studies, followed by an analysis of the research sample models. The fourth chapter was a presentation of the most important results that the researcher reached after analyzing the sculptural models that represented the research sample and in In light of these results, the researcher reached a number of conclusions, followed by recommendations that the researcher sees as serving and developing the artistic production movement in Iraq. Then, the researcher put forward some proposals to continue the study based on the new topics raised by the research. In conclusion, the sources and references that contributed to the theoretical foundation of the research were presented.

Keywords: Eternal Return, Sumerian Thought, Sumerian Sculpture

(الفصل الأول) أولاً: مشكلة البحث:

تعد الحضارة السومرية من أهم حضارات بلاد النهرين، إذ تمتد بجذورها التاريخية إلى خمسة آلاف سنة ق.م، فضلا عن الإرث المادي والفكري الذي انتجته تلك الحضارة، وعلى الرغم من البيئة الجغرافية المتقلبة المناخ وكثرة فيضان نهري دجلة والفرات، والافتقار إلى الأحجار والمعادن وندرة الأخشاب، استطاع السومريون من الطين والقصب وما توفره بيئة الأهوار من خلق إبداع في شتى مجالات الفنون والآداب

والعلوم، منها اكتشاف الكتابة وتطورها، سن أهم قانون لحماية الحقوق، تأسيس أول منظومة تعليمية، فضلا عن الإبداع في كتابة الأساطير والقصص والحكايات، ولعل الفنون كان لها الحظ الأوفر في هذا الإبداع، ولاسيما فن النحت، إذ انتج النحات السومري منجزا فنيا بأنواعه البارز والمجسم والأختام، وقد شكل هذا المنجز النحتي خطابا جماليا سواء على مستوى التقنيات وأسلوب صياغة العناصر الفنية وعلاقاتها الجمالية، او على مستوى ما يتضمنه من بنى فكرية ومضامين دينية وسياسية واجتماعية، اذ تبنت المنحوتات السومرية مشاهد تحمل دلالات وإحالات مفاهيمية ضمن بنائها الجمالي، وهي بالتالي تمثل نصوصاً مادية قابلة للقراءة والتحليل والاستنتاج، وقد وجد الباحث في هذه الأعمال النحتية ما يستحق البحث والتقصي عن مفهوم(العود الأبدي) بوصفه ثيمة مهمة في ميثيولوجيا الشعوب القديمة، فضلا عن جوانب هذا المفهوم في الفن والأدب والسياسة والعلم، معتمدا بذلك على ما تناوله المفكرون والكتاب في تجذير وتوضيح للمفهوم، لذا تم صياغة مشكلة البحث الحالي بالاستفهام الآتي:

ما هي توظيفات مفهوم (العود الابدي) في فن النحت السومري؟

أهمية البحث والحاجة إليه:

1.تسليط الضوء على أبعاد مفهوم (العود الأبدي) في منحوتات العصر السومري مما يشكل قراءة جديدة للنصوص النحتية لبلاد النهرين بتسلسلاتها التأريخية.

2.يتيح هذا البحث فهما أوسع لثقافة بلاد سومر في جوانبها التاريخية والجمالية، بالتالي فهو يمثل دراسة جمالية لتاريخ بلاد النهرين.

هدف البحث:

التعرف إلى مفهوم (العود الأبدي) في فن النحت السومري

حدود البحث:

1.الحد الموضوعي: المنتج النحتي لبلاد النهرين(البارز، الأختام الاسطوانية) المعنية بمفهوم (العود الأبدي).

2.الحد المكاني: بلاد النهرين.

3.الحد الزمني: (3500–2800) ق.م العصر الشبيه بالكتابي–(2800–2370) ق.م عصر فجر السلالات.

تحديد المصطلحات:

(العَود) لغةً: يقال رجعَ عوداً على بدءٍ، ورجعَ عودهُ على بدئهِ، لم يقطع ذهابهُ حتى وصلهُ برجوعهِ، ويقال لكَ العود، لك أن تعود في الأمر، وفي المثل العودُ أحمدُ(ابراهيم مصطفى 2004، ص635).

اصطلاحاً: العَود عند الرواقيين هو الرجوع الدوري للحوادث نفسها رجوعا أبدياً، أي حدوث الأشياء في دور جديد يكرر ما حدث في الأدوار السابقة(جميل صليبا، 1982،ص113).

-العَود هو ميلاد جميع الكائنات الحية من جديد عند القائلين بالتطور، ومنه عود المجتمعات في تطورها المستمر(إبراهيم مدكور، 1983، ص130).

(الابدي) لغة: (الأبدُ) الدهر، جمع آباد وأُبود، ويقال: لا أفعلُ ذلك أبد الآبدين، وأبد الآباد، مدى الدهر، وفي المثل: (طالَ الأبد على لُبد) يضرب لشيء يُعمر ويمر عليه دهرٌ طويل(إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ب ت، ص2).

اصطلاحاً:-الزمان الذي ليس له ابتداء، ولا انتهاء، أو المدة التي لا يتوهم انتهاؤها بالفكر، والتأمل، أو الشيء الذي لا نهاية له(جميل صليبا، ب ت ، ص29)

-استمرار الوجود في أزمنة مستقبلة لا متناهية، فهو لا آخر له، ولا يطرأ عليه العدم، ويقابل الأزل(إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، ب ت، ص1).

العود الأبدي: يذهب الحفني في توثيق مفهوم (العود الأبدي) إلى انه "مبدأ يقول ان الكون له دورة حياة تكررت في الماضي وستتكرر بكل تفاصيلها في المستقبل، وكان هذا رأي الرواقيين والفيثاغوريين وافلوطين، غير ان هذا المبدأ لم يشتهر في الفلسفة الحديثة الا من خلال كتابات نيتشة فقد جعله صلب فلسفته"(عبد المنعم الحفني ، 2000،ص569)، كما يركن لالاند إلى ان (العود الأبدي) "هو مذهب يقوم على الاعتقاد بان تاريخ العالم هو جريان دائم لمراحل دورية تكرر كل منها بدقة مطلقة، جريان كل المراحل الأخرى، لكنه يتجلى في تاريخ الفكر البشري في أربع صور متمايزة: صورة دينية، أو ميافيزيقية، أو شعرية، أو صورة علمية(أندري لالاند، 2001،ص1219).

التعريف الإجرائي: العود الأبدي: مفهوم يشير إلى تكرارية الوجود والفكر بشكل ابدي لامتناه، وهذا التكرار يتخذ صورا متباينة وفق السياقات الثقافية والزمكانية لذلك الوجود، ويتجلى هذا المبدأ في فن النحت السومري عبر أنماط جمالية وفكرية قابلة للرصد والتحليل.

(الفصل الثاني)

(المبحث الأول) مفهوم العود الأبدي:

يعد مفهوم العود الأبدي من المفاهيم التي تحمل دلالات عدة وذلك تبعا لتنوع سياقاته الثقافية التي اتخذت حيزا في مجالات مختلفة، منها الأدب والفن والدين والسياسة والعلم، إلا انه بالإمكان الركون إلى توضيح عام يتفق مع ان العود الأبدي نظرية ترى أن الكون والوجود والطاقة تعود بأسلوب متكرر وفي شكل مماثل لذاته وبعدد لا نهائي من المرات عبر زمان و مكان لا نهائيان، ولعل التتبع التاريخي للمصطلح يحيلنا إلى فلاسفة اليونان ومنهم (الرواقيين) مثل (هيرقليطس) و(ديمقريطس)، إذ ذهبوا إلى ان العالم لا يفنى بعد انتهائه، وإنما يعود بعد آلاف السنين لما كان عليه من قبل، ويبدأ عالم جديد تمر به الأحداث السابقة عينها ويعيش فيه الأشخاص ذاتهم الذين عاشوا الحياة السابقة، وهذا ما ذهب إليه (الفيثاغوريون) أيضا في تأكيدهم على الدور وعودة الأشياء بذاتها في آجال طويلة (السنة الكبرى) إلى غير نهاية (يوسف كرم، ب ت، ص29)، إلا ان الفكرة الأساسية للعود الأبدي تبلورت في الديانات الآسيوية قبل ذلك، ومنها الهندوسية والبوذية، إذ لا تؤمن هذه الأديان بالبعث واليوم الآخر والجنة والنار، وإنما تؤكد على انه بعد موت الإنسان يفنى جسده، وتعود روحه لتتقمص مخلوقا آخر قد يكون إنسانا أو حيوانا أو نباتا، وسعادته في الحياة التالية تعتمد على مدى ما فعل من خير في حياته السابقة(مصطفى النشار، 1997، ص96)، في حين يذهب (لالاند) في موسوعته الفلسفية إلى ان مذهب (العود الأبدي) أقدم من الفلسفة الإغريقية، ويرجح انه جاء من (الكلدانيين)(أندري لالاند، 2001،ص1220)، ولعل (لالاند) استند في هذا الترجيح إلى قصة الطوفان البابلية التي تذكر انتهاء الوجود

الإنساني على الأرض وأعادته من جديد بسبب طغيان البشرية واستيلاء الشر على الإنسان(غاستونماسبيرو، 2017 ، ص88).

كما ان مبدأ (العود الأبدي) اخذ حيزا مهما في العصر الحديث من خلال كتابات الفيلسوف الألماني (نيتشة)، فجعله صلب فلسفته في كتابيه (إرادة القوة) و (هكذا تحدث زرادشت)(عبد المنعم الحفني، 2000، ص569)، إذ يؤكد (نيتشة) ان كل شيء يباد، وكل شيء يعود ويحيى من جديد، والى الأبد يسير الوجود، وهذا التكرار يشمل كل التفاصيل والجزئيات، ولما كان قانون العلية بالمعنى العلمي الخالص هو تسلسل الحوادث وارتباط الظواهر وتتابعها يقضي بان يجر هذا التركيب معه التراكيب المرتبطة به، بالتالي فان مجموع الظواهر والأحداث سيتكرر من جديد بالنظام والطريقة والمقدار نفسه الذي وجد فيه سابقا، وهكذا تستمر الحال وتأتي دائما دورات جديدة لا نهائية ما دام الزمان غير متناه(عبد الرحمن بدوي، 1975، ص252)، وبالرغم من مرجعيات فكرة (العود الأبدي) في الفلسفة الشرقية واليونانية، يرى الباحث أنها فكرة ولدت مع بدايات الإنسان في الكهوف، فمن خلال الطبيعة التي أصبح الإنسان جزءا منها في مرحلة الصيد وجمع القوت، تبلور مفهوم التكرار والعودة الأبدية في الطبيعة، إذ لاحظ الإنسان هنا ان هذا التتابع الكوني تجسد في دورات الوجود المتتالية، الليل والنهار، الموت والولادة، تعاقب الفصول، بالتالي فان الطبيعة (المجهولة) في نظر ذلك الإنسان تمثل نظاماً وجودياً متكرراً بشكل لا متناه، وهذا التكرار تحكمه قوى كونية يقتضي وجودها وهيمنتها ممارسات طقسية من قبل الإنسان، ولعل الفن هنا هو الوسيلة (السحرية) المناسبة لمحاكاة الطبيعة (الأبدية) والتعايش معها وتجنب مخاطرها، وهذا ما انعكس بالتالي على المنجز الفني لتلك الفترة، والذي تمثل برقصات ما قبل الصيد وإشعال النار، فضلا عن رسومات الكهوف التي تحمل صيغة متكررة لفعل (الصيد) كمحاولة (مجازية) لترويض البيئة التي تعيد وتكرر نفسها، "إذ أدرك الإنسان ان هنالك مشاكل تتعدى الظواهر المجردة، لقد أحس بمشكلة الأصل وغاية الوجود وأدرك ان هنالك نظاما لا تراه العين، ترعاه عاداته وعرفه وتقاليده، وقرن هذا النظام المحجوب بالنظام المرئي المتكرر في الطبيعة"(هنري فرانكفورت وآخرون،1980، ص19)،

وتلخيصا لما تقدم، فان (العود الأبدي) يفهم من جانبين، يمثل الأول نظرة دينية من وجهة نظر الشعوب القديمة، والذي يتجسد في الطقس الديني الذي ينفذه الفرد أو الجماعة المتدينة، لكي تقطع مسرى التاريخ المتواتر وتعود إلى التاريخ الأسطوري والذي يمثل بداية الخليقة (الكوزموغينيا)، إما الجانب الثاني فيمثل وجهة نظر فلسفية وعلمية ترى ان حركة الزمان لا تمتد بشكل مستقيم إلى الأبد، بل لا بد ان تتوقف عند نهاية معينة وبعدها يبدأ الزمان من جديد من نفس بدايته الأولى وهكذا إلى الأبد فالأحداث في كل دورة زمانية ستكون نفسها وستتكرر(خزعل الماجدي، 2017، ص5)، وهذا ما أكده الفلاسفة الإغريق الذين تم ذكرهم مسبقا في المبحث.

(المبحث الثاني) العود الأبدي في فكر بلاد النهرين:

لا تكاد أي من الحضارات القديمة كالعراقية والمصرية والإغريقية والآسيوية ان تخلو من هيمنة فكرة (العود الأبدي)، وهذا ما تحكمه طبيعة اللاوعي الجمعي (الميثولوجي) الذي نسجته مخيلة تلك المجتمعات عبر آلاف السنين، إذ ان بنية الأسطورة ترتكز على كوزمولوجيا الكون، والذي بدوره يفرض حدث مقدس يحتم إعادة تنظيم متكرر للفعل (الأزلي) المقدس، "فليس للأسطورة زمن، أي أنها لا تقص حدث جرى في الماضي وانتهى، بل عن حدث ذي حضور دائم ومتجدد، إذ ان زمن الأسطورة هو زمن ماثل إلى الأبد، لا يتحول إلى ماضٍ"(فراس السواح ، 2002، ص57)، فالإله (تموز) الذي قتل ثم بعث إلى الحياة، إنما يفعل ذلك في كل عام، فهو يقتل في الصيف ويبعث إلى الحياة في الربيع، والإله (مردوخ) الذي خلق الكون ونظمه في الأزمنة المقدسة الأولى، إنما يفعل ذلك في كل عام ومع بداية السنة الجديدة، فيقوم بإعادة خلق الكون وتجديده(الكسندر هايدل،2001، ص10)، وهنا تتخذ فكرة (العود الأبدي) أهمية كبيرة في التكرار والعودة إلى المثال الأعلى بمعناه الافلاطوني، والذي يضمن التجديد والعودة للانموذج، وبالتالي فان بنية الطقس (الديني/الاجتماعي) الذي يمارسه المجتمع المتدين ويكرره هو بمثابة عودة إلى الزمن المقدس، والذي يتناغم مع الطبيعة التي تكرر نفسها وفق سياق كوني منظم، وهذا يتضح في الطقوس الدورية

ومنها طقس (الزواج المقدس) لدى السومريين والبابليين، اذ يقترن هذا الطقس بزمان ومكان محددين بداية كل ربيع، يوم الطقوس ويوم القمر الجديد، فكانت مراسيم ذلك الطقس تتم في المعبد، ويمثل محاكاة لزواج أسطوري بين رمزي الخصب في الطبيعة، الإله (تموز) والإلهة (عشتار)، حيث يتقمص هذه الأدوار الملك والكاهنة العليا، والهدف من ذلك إحلال الخصب والنماء في البلاد للسنة الجديدة (صموئيل نوح كريمر، 2007، ص89-91) "فالعالم يعيد ولادة نفسه كلما تمت محاكاة الزواج المقدس... فان تكرار طقس الزواج هنا يعيد ولادة السنة وبالتالي يهب الخصوبة والوفر والسعادة"(مرسيا الياد، 1987، ص54).

ولعل تتبع نظرية (العود الأبدي) في فكر بلاد النهرين يحيلنا إلى أدبيات تلك الحضارة، ففي ملحمة (كلكامش) ورحلة بحثه عن الخلود، تنهض هنا ثنائيات الوجود المتضادة التي تعود لتتكرر بشكل ابدي لا متناه (الحياة/الموت)، (الخير/الشر)، (الوجود/ العدم) وذلك بوصفها مرتكز فلسفة الوجود الإنساني الذي عالجته تلك الملحمة في خطاباتها المفاهيمية، وهذا ما يتضح في صراع (كلكامش) مع وحوش مدينة الوركاء لكونها عنصر الشر في الطبيعة، موت صديقه (انكيدو)، بحثه الغير مجدي عن نبتة الخلود ليكتشف ان الموت والحياة هو تكرار ابدي لا مفر منه في الطبيعة وهذا ما أقرته الآلهة منذ الأزل(طه باقر، ملحمة كلكامش، 1980، ص40)

ومن جانب آخر فقد اتخذت فكرة (العود الأبدي) في بلاد النهرين طابعا سياسيا مؤدلجا يقضي بضرورة تكرارية الطقس السلطوي، وذلك لتثبيت الملكية المدعومة دينيا من الآلهة، باعتبار ان الملك هو خليفة الإله في حكم البلاد، إذ اعتقد السومريون ان تنصيب الملك هو بمثابة العودة للأصل الأسطوري الذي أقرته الآلهة منذ القدم، ففي البداية لم يكن للسلطة السياسية وجود على الأرض، ولكن في الأيام الأولى الموغلة في القدم وبعدها في أعقاب الفيضان هبطت الملكية من السماء كما جاء في قائمة الملوك السومريين(صمؤيل نوح كريمر،1973، ص373)، ومن بين تلك الطقوس طقس

(تتويج الملك) الذي يتم كل عام تتخلله شعائر دينية يصاحبها وضع شارات الملوكية من الكاهن الأعلى والعزف على الآلات الموسيقية وتقديم القرابين للآلهة (هاري ساكز،1979، ص419)، إذ يمثل طقس تتويج الملك ولادة الكون التي كان يحتفل بها في بداية كل عام، وهو مباشرة لدورة زمنية جديدة، فكل عام جديد هو عودة أبدية لزمن الخليقة (الكوزموغينيا)(مرسيا الياد، 1991، ص44)، في حين كان لطقوس بناء المعابد من قبل الملك أهمية كبيرة في العودة الأبدية لتكرار الانموذج الكوني للمكان المقدس، إذ تذكر الكتابات التي تعود لبناء المعابد أنها نسخ مكررة وعودة إلى الأصول السماوية التي استوجب على الملك انشاؤها، ومنها كتابات الملك (كوديا) التي تتعلق بأنموذج قدس الأقداس والتي ذكرت في معبده الذي شيده في (لكش)، فقد رأى الملك في الحلم الآلهة (نيدابا) التي أظهرته على لوح جاء فيه ذكر النجوم واحد الآلهة يطلعه على رسم هيكل المعبد،(فراس السواح، 2017، ص286)، وهذا ما يتضح أيضا في المدن البابلية فقد كان لها انموذجٌ في المجموعة السماوية، نينوى انموذجها الدب الأكبر، وآشور انموذجها القوس، ومدينة سيبار انموذجها السرطان، في حين أمر الملك (سنحاريب) ببناء مدينة نينوى على حسب الخطة المرسومة منذ الأزمنة السحيقة في هيأة السماء، والمثال لا يسبق الزمن الأرضي وحسب وإنما هو يوجد في إقليم مثالي سماوي منذ الأزل (مرسيا الياد ،1987، ص24)، أما الطقوس الدينية فقد كان لها دور مهم في تفعيل مفهوم العود الأبدي في بلاد النهرين، إذ قسمت هذه الطقوس إلى ممارسات يومية وشهرية وسنوية، ومنها ما يخص مناسبات لأحداث معينة، مثل طقوس الصلاة والصوم وتقديم القرابين وسكب السوائل المقدسة وإشعال البخور، فضلا عن قراءة الأدعية والتراتيل التي يصاحبها العزف على الآلات الموسيقية، إذ تجسد تلك الطقوس تكرارية وعودة أبدية للفعل الخليقي الأول وفق ميثيولوجيا بلاد النهرين(خزعل الماجدي، 1998ص307)"فان تلك الطقوس هي أفعال للتواصل مع الزمان أو المكان المقدسين اللذين كانا في بداية الخليقة أو في الزمن الإلهي المقدس، وهي بذلك تكرر ما سبق أن حصل في زمان انموذجي من قبل الآلهة أو الأبطال الأسطوريين...فهي تذهب إلى الزمن التاريخي الذي جرى فيه فعل عظيم من قبل الإله"(خزعل الماجدي،

العود الأبدي، ص20)، وبذلك فان "الطقس والأسطورة ما هي إلا التقنية التي تقرب الإنسان القديم من الزمن القدسي، زمن الخلق والتكوين، وبالتالي تسهل عليه الدوران في مسار الأبدية المعاد دائما وأبدا بشكل دوري، يأخذ طابع التجديد الكلي للكون سنويا"(شمس الدين الكيلاني ، 1998، ص160).

(المبحث الثالث) العود الأبدي في فنون بلاد النهرين:

تعد الفنون نتاجا إبداعيا يعكس البنية الثقافية للمجتمعات عبر العصور، إذ يمثل هذا النتاج الهوية الاجتماعية والدينية والسياسية والجمالية في كل عصر، لذا فان آلية البحث والتقصي عن مفهوم (العود الأبدي) في الفن تستوجب فهم البيئة الثقافية المهيمنة في المجتمع، وبما ان فنون وآداب الحضارات القديمة عالجت (انطولوجيا) الوجود وما ورائيات الطبيعة فهي بالتالي جسدت الرحلة الذهنية للإنسان في بحثه عن (المقدس) الذي يمثل الأبدي والمطلق واللامتناه، لذا فان فنون تلك الشعوب القديمة تمثل انعكاس للفكر الأسطوري بما يتضمنه من معتقدات وطقوس دينية واجتماعية والتي عولت بدورها على أهمية مفهوم (العود الأبدي) وتكرار الأحداث في الزمن الأول للخليقة.

ولعل تتبع مفهوم (العود الأبدي) في فنون بلاد النهرين يحيلنا إلى القرى الزراعية الأولى، إذ ان أهمية الانتاج ووفرته اقترن بالأرض التي باتت رمزا للخصوبة والعطاء بعد استقرار تلك المجتمعات وتحولها من حياة الكهف إلى الزراعة وتهجين الحيوانات، اذ شكلت تلك الرمزية إحالة وعودة أبدية إلى الأرض الأم المنتجة بوصفها عنصرا مقدسا في الطبيعة، ولا سيما ان الانتاج ارتبط بالبعد الزمني لتعاقب وعودة الفصول في كل سنة ليجسد ولادة جديدة تزامنت مع الأمطار وري المحاصيل(فراس السواح، 1985،ص33).

، لذا تمحورت الطقوس الدينية في تجسيد تماثيل الآلهة الأم شكل (1)، والرسومات الفخارية التي تشير إلى رقصات جلب الأمطار(الاستسقاء) شكل(2-3) والتي نقشت بتكرارية للإشارة إلى العودة الأبدية للطبيعة (المقدسة)، "فقد كانت جميع الرقصات

مقدسة في الأصل، أي ان لها انموذجاً أو مثالا فوق_بشري، سواء كان الانموذج حيواناً أو طوطماً أو شعاراً، أو حركات أعيد أداؤها لاستدعاء حضور الحسي عن طريق السحر"(مرسيا الياد، 1987، ص58_59).

شكل(1)

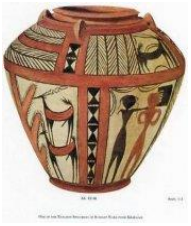

شكل(2)

شكل(3)

كما ان البحث عن مفهوم (العود الأبدي) في فنون بلاد النهرين يحيلنا إلى فن العمارة، حيث تمثل (المدينة) في الفكر الأسطوري مركزا كونيا مقدسا يتبع تصميما مكررا وعودة للأنموذج السماوي الذي أقامته الآلهة في الأزمان المقدسة "فالعالم الذي مدنته يد الإنسان لا يكتسب إلا الشرعية التي ترتد إلى الانموذج السماوي الذي جاء هذا العالم على مثاله...إذ ان مخطط بابل يرينا المدينة وسط إقليم دائري واسع يحيط به نهر عامر تماما كما تمثل للسومريون الفردوس من قبل في الثقافات البلدانية Cultures (urbaines)، فليس ما يضفي على الأشياء صفة الحقيقة والشرعية مثل مقاسمتها لانموذج مثالي"(مرسيا الياد، 1987، ص27–28)، لذا فان انطولوجيا المكان هنا بمثابة تحول من الوجودي (الدنيوي) نحو المتخيل الميتافيزيقي، أي انه عود ابدي إلى الأصل الأسطوري، ومن جانب آخر فان التصميم المعماري لمدن بلاد النهرين بما يتضمنه من معابد وزقورات جاء ليتناسب مع ممارسة الطقوس والشعائر الدينية التي تمثل استذكارا وعودة أبدية لزمن الخليقة الأول (المقدس)، لذا تضمنت تلك الأبنية الدينية غرفة قدس الأقداس التي يوضع فيها تمثال اله للمدينة، والمذبح الذي خصص لتقديم القرابين وسكب السوائل المقدسة، فضلا عن مكان المخصص لطقوس الزواج المقدس للملك والكاهنة العليا (كيبار)، وجميعها مخصصة لممارسة طقوس دورية

متكررة يتجلى من خلالها مفهوم العود الأبدي للزمان والمكان المقدسين شكل(4) (رينيه لابات،1988, ص210) .

شكل(4)

شكل(5)

شكل(6)

في حين نجد الدور الكبير لفن النحت في تجسيد مفهوم (العود الأبدي)، كونه يمثل انعكاسا للثقافة الدينية في اغلب عصور بلاد النهرين، فالطابع الأسطوري للأعمال الفنية سواء كان في تجسيد الأشكال البشرية أو الحيوانية أو في الدلالات والرموز فهو بمثابة العودة للمثال أو الانموذج (الغيبي) الذي يحمل فكرا ميثيولوجيا برغم محاكاته للطبيعة، فقد حاول النحات شحن الأعمال التشخيصية بطاقة روحية من خلال التجريد والاختزال والترميز ليؤكد انتمائها وعودتها الأبدية للعالم الغيبي، وغالبا ما تتخذ وضعية الصلاة والعبادة شكل (5)، أو تحمل مشاهد لآلهة وملوك ومتعبدين في أجواء طقسية ينتفي فيها وجودية الزمان والمكان للتأكيد على الحدث الأسطوري، شكل (6)

وعلى نحو مماثل نلاحظ فن النحت على الأختام الاسطوانية، إذ تجسد مفهوم العود الأبدي في تكرارية المشاهد الدينية لتبلغ بخطاباتها المفاهيمية عن الفعل الغيبي في النص البصري الذي يمثل إعادة للأحداث الأسطورية التي وقعت في زمن الخليقة الأول، فقد تضمنت تلك الأختام مشاهد مقتبسة من الملاحم والأساطير التي نسجها المخيال الاجتماعي لتكتسب قدسيتها بفعل التكرار عبر السنين، فهي عولت بذلك على نفي وجودية الزمان والمكان ليتم إحالتها إلى عوالمها الأسطورية الأولى شكل (7)، في حين تضمنت مشاهد أخرى ممارسة طقوس دينية متعددة لآلهة وملوك ومتعبدين مثل بناء المعابد وسكب السوائل في محاولة لتوثيق تكرارية المشهد الديني وإعادة صياغته جماليا شكل(8) (صبحي أنور رشيد، حياة علي الحوري ، 1982، ص15).

شكل(7)

شكل(8)

أما فن الرسم في بلاد النهرين فقد تمثل بالجداريات الملكية التي تضمنت سرديات بصرية لأحداث دينية منها تمجيد الآلهة والملوك، ومنها تجسيد لطقوس العبادة، وهي بالتالي تمثل سياقات جمالية لم تخرج عن نمطية فنون بلاد النهرين سواء في طرحها الجمالي أو في بنيتها العلاماتية، كما في الشكل (9–10)، ومنها جداريات قصر مدينة (ماري) التي تعود إلى العصر البابلي القديم، والتي تضمنت مشاهد تتويج ومباركة الملك (زمري لم) من قبل الآلهة عشتار، وأداء طقس سكب السوائل المقدسة، إذ تمثل تلك المشاهد الأسطورية تكرارية الفعل الديني ليجسد مفهوم العود الأبدي إلى زمن الخليقة الأول الذي أقرته الآلهة منذ الأزل، والذي يقتضي التذكير بسببية الخلق المتمثل بخدمة الآلهة وعبادتها من قبل البشر وبوساطة الحاكم المبارك والمعين بأمر الهي(اندريه بارو، 1979، ص334).

شكل(9)

شكل(10)

مؤشرات الإطار النظري:

1.تبنى مفهوم (العود الأبدي) تعريفات متباينة وذلك وفقا لتنوع سياقاته الثقافية في مجالات الدين والعلم والأدب والفن، وهو بالتالي يمثل ثيمة مهمة يمكن قراءتها وتحليلها في تلك المجالات.

2. اتخذ مفهوم (العود الأبدي) جانبا دينيا (ميثيولوجيا) من وجهة نظر الشعوب القديمة، والذي يتجسد في المعتقدات والأساطير والطقوس الدينية، ليقطع بذلك مسرى التاريخ المتواتر والعودة إلى التاريخ الأسطوري الذي يمثل بداية الخليقة (الكوزموغينيا).

3.اتخد مفهوم (العود الأبدي) لدى الفلاسفة ومنهم الإغريق تفسيرا علميا ومنطقيا يرى ان حركة الزمان لا تمتد بشكل مستقيم إلى الأبد، بل لا بد ان تتوقف عند نهاية معينة وبعدها يبدأ الزمان من جديد، ومن بدايته الأولى نفسها، وهكذا إلى الأبد فالأحداث في كل دورة زمانية ستعاد وستتكرر.

4.يتضح مفهوم (العود الأبدي) في فكر بلاد النهرين من خلال الطقوس الدينية التي تمثل التكرار والاستمرارية والعودة إلى الانموذج الأسطوري الذي أقرته الآلهة منذ القدم، ومنها طقوس الزواج المقدس وبناء المعابد والصلاة وتقديم النذور والقرابين، وقد اتخذت بعض تلك الطقوس جانبا سلطويا تجسد في شخصية الملك بوصفه خليفة الآلهة في الحكم.

5.اعلن مفهوم (العود الأبدي) عن خطابه الفكري والجمالي في فن عمارة بلاد النهرين في كونه عودة للانموذج الأسطوري الذي أقرته الإله منذ الأزل، وهو بذلك يمثل حتمية فرضت على الملك في أسلوب بناء وتصميم المدينة ومعابدها وفقا لذلك الانموذج السماوي.

6.جسد الفنان مفهوم (العود الأبدي) في بنية أعماله الفنية منذ القرى الزراعية الأولى، إذ مثلت تلك الأعمال عودة إلى الأرض بوصفها (الأم) المنتجة الولودة التي تعود لتتجدد وتسهم في استمرارية وتكرار الوجود الإنساني، وهذا ما يتضح في منحوتات وفخاريات تلك القرى.

7.تضمنت فنون بلاد النهرين مشاهد وموضوعات دينية وسياسية واجتماعية متعددة تعكس الهوية الثقافية المهيمنة عبر العصور، وهي بالتالي تجسيد لمعتقدات وطقوس وأساطير قدمها الفنان بأسلوب جمالي ينسجم مع بنية العمل الفني وصياغاته البصرية، وهذا ما نجده في فن الأختام الاسطوانية والرسوم الجدارية.

الدراسات السابقة: بعد أن اطلع الباحث على الدراسات والبحوث السابقة المتعلقة بموضوع البحث فضلا عن شبكة المعلومات العالمية(الانترنيت)، لم يعثر الباحث على دراسة أو بحث مقارب لموضوع البحث الحالي من حيث طبيعة الموضوع وهدفه وآلية البحث، إنما هناك مقالات نقدية تم الاطلاع عليها والإفادة منها والأخرى لا ترقى إلى التضمين في متن هذا البحث العلمي.

(الفصل الثالث)

أولا: مجتمع البحث: اشتمل مجتمع البحث الحالي على الأعمال النحتية البارزة والأختام الاسطوانية والتي تمثل النماذج المحددة دراستها فيما يتعلق بالبحث عن مفهوم العود الأبدي وتوظيفها في منحوتات العصر السومري، وقد تم الحصول عليها من المصادر المتعلقة بالموضوع فضلا عن شبكة المعلومات العالمية (الانترنيت)، وقد عدها الباحث مجتمع البحث الحالي، إذ بلغ عدد تلك الأعمال(25) أنموذجاً، تحقيقا لهدف البحث.

ثانيا: عينة البحث: تم اختيار (3) نماذج نحتية من مجتمع البحث بوصفها نصوصاً نحتية تحيلنا إلى قراءة مفهوم (العود الأبدي) في تلك النماذج، وقد اعتمد الباحث الطريقة القصدية في تحديد عينة البحث تبعا للمنحوتات التي تضمنت مفهوم (العود الأبدي)، مع مراعاة التنوع بالمادة والأسلوب فضلا عن التقنيات التي استخدمت في المنحوتات وذلك لتحقيق هدف البحث.

ثالثا: أداة البحث: من أجل تحقيق هدف البحث في التعرف على مفهوم (العود الأبدي) في فن النحت السومري، اعتمد الباحث المؤشرات المعرفية التي انتهى إليها الإطار النظري بوصفها أداة للبحث.

رابعا: منهج البحث: اعتمد الباحث في دراسته الحالية على المنهج الوصفي التحليلي لقراءة مفهوم (العود الأبدي) وآلية اشتغالاتها في منحوتات العصر السومري، وذلك بوصفه المنهج المتبع في الدراسات الفنية والجمالية.

خامسا: تحليل العينة:

إنموذج(1)

الموضوع: الإناء النذري

المادة: حجر الالبستر

المرحلة الزمنية: العصر الشبيه بالكتابي(الالف4–3)ق.م

المعثر: معبد الوركاء

القياس: 105 سم

العائدية: المتحف العراقي

إناء اسطواني الشكل زين سطحه الخارجي بنحت بارز له قاعدة مخروطية الشكل، قسم الفنان سطح هذا الإناء إلى خمسة حقول منحوتة بشكل بارز تتداخلها أشرطة خالية من النحت تفصل بين المشاهد المنحوتة في كل حقل، يتضح مفهوم (العود الأبدي) في هذا الانموذج من خلال القراءة البصرية التي تشكل بدورها دلالات مفاهيمية تحيل إلى الميثيولوجيا السومرية، إذ يعرف هذا الإناء لدى مؤرخي الفن بـ(الاناء النذري)، وقد استمد تسميته من موضوعه الطقوسي المتمثل بتقديم النذور إلى الآلهة، وهو ما تقتضيه سببية الخليقة المتمثل بخدمة الآلهة منذ الزمن الأول، إذ نجد القصدية الواعية في نحت خطوط متموجة في الحقل الأول من الأسفل للإشارة إلى الماء بوصفه مادة الخلق الأولى تبعا للفكر الأسطوري السومري، وهي بالتالي تمثل عودة أبدية إلى رمزية الخلق الأولى (الهيولي)، كما تضمنت الحقول التالية حزم سنابل القمح التي بدت وكأنها تنمو من ضفاف الماء وهي تمثيل لمظاهر الخصب والتجدد، تلي هذه السنابل قطيع من الأغنام والماعز المنذورة للآلهة ، ويعلو هذا الحقل طابور لرجال يحملون سلال الفاكهة والخضار وأواني المشروبات والجرار النذرية المقدمة للآلهة، إذ تشير هذه الحقول برمزية مفرداتها ضمن النسق العام للمشهد إلى عودة موسم الحصاد المتكررة سنويا لتجديد الحياة وديمومتها بفعل المباركة الإلهية، وهنا تجسيد لمفهوم (العود الأبدي) في الطبيعة، وفي أعلى الإناء شخصية مرموقة تحطم وجهها من المحتمل انه

حاكم دويلة المدينة أو كاهنها الأعلى ذلك ان حزامه الطويل قد حمل خلفه من قبل تابع له، وراحت تحييه امرأة من مكان خاص تمثل الآلهة (اينانا) أمام معبدها، أو ربما كاهنتها العظمى بدليل حزمتي القصب المعقوفتي النهاية وهو الرمز الخاص بآلهة الخصب والتكاثر، إذ يمثل المشهد هنا طقس محاكاة (الزواج المقدس) بين آلهة الخصوبة السومرية (اينانا) و (ديمونزي)، والذي يتم في كل سنة لتفعيل مفهوم (العود الأبدي) والعودة إلى الزمن الأول من خلال تكرارية فعل (الزواج الإلهي) الأسطوري لجلب الخير للبلاد، ومن جانب آخر فان الشكل الاسطواني وتكرار المفردات اللامتناه حول الإناء يمثل خطابا بصريا يعلن بدلالاته المفاهيمية للمتلقي إلى استمرارية (الوجود) وعودته اللامتناهية، فضلا عن الجانب الوظائفي للإناء كونه يستخدم في ضمن الطقوس الدينية في المعبد.

إنموذج(2)

الموضوع: مشهد احتفالي

المادة: حجر كلسي

المرحلة الزمنية: (النصف الأول من الألف الثالث)ق.م

المعثر: تلو

القياس:30 سم

العائدية: متحف اللوفر

لوح نذري نحت عليه مشهد مقسم إلى حقلين، يظهر في الحقل الأول يسار اللوح الملك (أورنانشة) حاملا على رأسه سلة بناء، مرتديا ثوبا مهدبا يغطي الجزء الأسفل من جسده، كما تتوجه نحوه أولاده الأربعة تتقدمهم زوجته ترتدي ثوبا مهدبا يغطي كتفها الأيسر، وفي الحقل الأسفل يصور النحات الملك نفسه في مشهد آخر وهو جالس من جهة اليمين حاملا بيده كأسا ويقف خلفه خادمه وأمامه أولاده، كما

تضمن اللوح كتابات مسمارية موزعة في فضاءات المشهد، تتضح اشتغالات مفهوم (العود الأبدي) في هذا الأنموذج من خلال موضوعية النص النحتي المتمثلة ببناء المعبد، اذ تعد المعابد في فكر بلاد النهرين نسخاً مكررة وعودة إلى الأصول السماوية التي استوجب على الملك انشائها، لذا تضمن تشيد المعبد طقوس دينية واحتفالات خاصة تليق ب(قدسية) المكان كونه يقترن بالانموذج الأسطوري الذي أقرته الآلهة منذ القدم، فضلا عن تفعيل الجانب السلطوي المتجسد بشخصية الملك بوصفه خليفة الإله في ارض مدينة سومر، وتبعا لما سبق، تتضح قصدية الفنان في تنشيط البعد الوظيفي للانموذج النحتي ليلعب دورا مهما في الإبلاغ عن مفهوم (العود الأبدي) في المشهد، وذلك من خلال توثيق الطقس الديني المتمثل بتشييد المعبد، إذ احتوى اللوح على ثقب مركزي لتعليقه على الجدار لضمان ديمومته الأسطورية فضلا عن قيمته الجمالية والتزيينية في المعبد، وبذلك فقد تحول المشهد من وجوديته المادية ليأخذ بعدا مفاهيميا يتجاوز زمكانية الحدث الديني نحو عوالم ميتافيزيقية تفترض استمرارية وأبدية لامتناهية لعبادة الآلهة وإعادة تفعيل وجودها (الكوني) ضمن النسق الفكري للمنظومة الدينية في بلاد سومر، كما عززت هذا الفهم الميثيولوجي أيضا خامة العمل (الحجر) لكونها مادة صلبة تقاوم الظروف والتغيرات عبر الزمن، في حين جاءت الكتابة المسمارية التي تذكر اسم الملك (اورنانشه) وأسماء أولاده واسم معبد الإله الذي بني من اجله، ليشكل بذلك أحاله لخطاب يتجاوز أبعاد النص(الزمكانية) إلى البعد الأسطوري (الديني)، كون ان بناء المعبد يمثل حدثا إلهيا مقدسا، كما أكد النص المكتوب على أهمية الدور السلطوي للملك ولعائلته بوصفه خليفة الإله في حكم مدينة (اور).

انموذج (3)

الموضوع: صراع أسطوري

المادة: طبعة طين

المرحلة الزمنية: (2500 ق.م)

المعثر: خفاجي

القياس: /

العائدية: المتحف العراقي

طبعة ختم اسطواني نُحت عليه مشهد لأشكال خليقية مركبة وحيوانات تتصارع فيما بينها على طول الشريط، حيث تضمن المشهد شخصيتين اسطوريتين تمثل الأولى البطل الأسطوري (كلكامش) له شعر رأس ينتهي بست دوائر سميكة، ويتمنطق بحزام سميك متكون من ثلاثة خطوط، أما الشخصية الثانية فتمثل صديقه (انكيدو)وهو بجسد مركب، نصفه الأسفل شكل ثور والأعلى على هيئة بطل يعتلي رأسه زوج من القرون، كما نلاحظ في أسفل يسار المشهد نسراً نحت بأسلوب مختزل التفاصيل له أجنحة وذيل على شكل خطوط بسيطة، وبالانتقال إلى القراءة البصرية للنص النحتي وما يحمله من مدلولات مفاهيمية تتضح جليا فكرة (العود الأبدي) من خلال معالجة موضوعة الصراع في الانموذج، إذ تمثل فكرة العمل جزءاً مقتبساً من ملحمة (كلكامش)، والذي يتجسد في محاولة هذا البطل الأسطوري مع صديقه (انكيدو) محاربة وحوش مدينة الوركاء التي تهدد الماشية وتعبث بالأراضي الزراعية للمدينة، وهنا يعكس المشهد البعد السايكولوجي (الجمعي) لدى مجتمع سومر، إذ يحمل النص احد الثنائيات المتضادة للوجود الإنساني (الخير/الشر)، والتي تمثل صراعا أبديا لامتناهياً لذلك الوجود، كما جاء الشكل الاسطواني للختم ليؤكد تكرارية طبعة المشهد وتفعيل ديمومته وعودته الابدية لينسجم وفق المعطيات المفاهيمية وحضورها البصري على السطح الطيني، في حين أكدت عناصر البناء الفني وما تربطها من علاقات جمالية على الحضور الذهني لمفهوم (العود الأبدي)، وذلك من خلال تكرار الأشكال وتحقيق التوازن البصري في المشهد،

اذ يتضح التناسق والانسجام في حركة الأجساد الممتدة في فضاء المشهد، لتعلن بذلك عن أبدية الصراع الأسطوري واستمراريته المنظمة من قبل الآلهة، ولعل هذا ما يتضح في النظرة الامامية للبطل الاسطوري (كلكامش) وصديقه (انكيدو) والتي تجاوزت زمكانية الحدث لتنفتح نحو العوالم الاسطورية وتبلغ عن أبدية ذلك الحدث وعودته اللامتناهية، كما أسهمت خامة الطين لطبعة الختم في تفعيل فكرة (العود الابدي) وذلك بوصفها المادة الخليقية الأولى في الميثولوجيا السومرية، وهي بالتالي إيحاء بصري للمتلقي في تجسيد فكرة العودة إلى الأصل الأسطوري للمشهد.

(الفصل الرابع)

أولا: نتائج البحث ومناقشتها:

1.لعبت الميثولوجيا السومرية وما تتضمنه من سرديات وأحداث دورا مهما في توثيق مفهوم (العود الأبدي) في مشاهد الأعمال النحتية، اذ عكست النماذج موضوعات العودة إلى الزمن الأسطوري الأول بوصفه الانموذج المثالي المقدس لدى شعب سومر، ومنها ملحمة (كلكامش)، وأساطير (ديمونزي) (واينانا).

2.يتضح مفهوم (العود الأبدي) في نماذج العينة من خلال اشتغالات الطقس الديني واستمراريته، كونه جزء من المنظومة الدينية التي عولت على تكرار (الفعل) الديني لتحقيق العودة والتواصل مع المقدس، وهذا ما نجده في الطقوس التي تضمنتها مشاهد النماذج النحتية، منها طقوس الزواج المقدس، طقوس بناء المعبد، تقديم النذور والقرابين.

3.أسهمت عناصر البناء الجمالي في النماذج على خلق علاقات بصرية تثري قراءة الخطاب المفاهيمي للنص النحتي، إذ ان (تكرارية) الأشكال وأسلوب صياغتها الجمالية هي تأكيد على مفهوم (العود الأبدي) وهيمنته (الدينية) وهذا ما نجده في اغلب نماذج العينة.

4.أعلنت الأعمال النحتية عن مفهوم (العود الأبدي) في من خلال الجانب الوظائفي للمنحوتة، إذ اتخذت تلك الأعمال أشكالاً محددة لغرض وظيفي منها لأداء طقس ديني مثل الإناء النذري، ومنها لغرض التعليق على جدار المعبد مثل الألواح النذرية، فضلا

عن الأختام الاسطوانية التي تحتوي مشاهد ميثيولوجية، وهي بالتالي تمثل جزءاً من ديمومة واستمرارية الفكر الديني (الأسطوري) لدى السومريين.

5.عول النحات السومري في أعماله النحتية على (الخامة) بوصفها الوسيط المادي الذي يحمل دلالات بصرية تحيل إلى بنية الفكر الميثيولوجي السومري، وهي بالتالي تدعم مفهوم العودة الأبدية للأصول الاسطورية، ومنها خامة الحجر التي توحي بالديمومة والاستمرارية، أو خامة الطين بوصفها مادة الخليقة الأولى في الأساطير السومرية.

6.اتخذ مفهوم (العود الأبدي) بعدا سياسيا في مشاهد النماذج النحتية، إذ جاءت تلك المشاهد لتوثق أهمية الملكية وشرعيتها الدينية وأصولها الأسطورية التي أقرتها الآلهة السومرية منذ القدم، وهذا ما يتضح في مشاهد احتفال الزواج المقدس، ومشهد بناء المعبد من قبل الملك.

7.يتضح مفهوم (العود الأبدي) في نماذج العينة من خلال تبني تلك النصوص النحتية ثنائيات اقترنت بالوجود الإنساني، ومنها (الديني/الدنيوي)، (الخير/الشر) (المقدس/المدنس)، وهي بالتالي تمثل ثيمة مهمة باستمرارية وتكرار ذلك الوجود، والتي استطاع الفنان السومري تضمينها في مشاهد أعماله النحتية.

8.جاءت الكتابات المسمارية التي نقشت على الأعمال النحتية لتوثق وتؤكد على ديمومة الحدث الديني وأهميته الأبدية في العودة إلى الأصل الأسطوري.

ثانيا: الاستنتاجات:

1.شكل مفهوم (العود الأبدي) بنية مهيمنة في النص النحتي السومري سواء في الخطاب البصري أو ما يحمله من مدلولات مفاهيمية ضمن السياق العام للمشاهد النحتية.

2.اتخذت المشاهد في المنحوتات السومرية طابعا دينيا يستمد موضوعاته من المنظومة الدينية بما تتضمنه من معتقدات وطقوس وأساطير نسجتها وطورتها مخيلة المجتمعات عبر العصور، لذا فان مفهوم (العود الأبدي) جاءت ملازمة لهذا التطور منذ القرى الزراعية الأولى.

3.اقترن مفهوم (العود الأبدي) بالهوية الثقافية للمجتمع السومري، وذلك تبعا لما تبنته تلك الهوية من جوانب دينية وسياسية واجتماعية مغايرة لثقافات العصور اللاحقة كالاكدية والآشورية والبابلية، وهذا ما ينعكس بالتالي على أسلوب صياغة المشاهد النحتية السومرية ومعالجتها لمفهوم (العود الأبدي).

ثالثا: التوصيات:

تطوير أفق التعاون بين اختصاص علم الآثار واختصاص الفنون للتعمق في بحث ودراسة وتنقيب منجزات بلاد النهرين من خلال إقامة الورش والندوات الثقافية، وذلك لما تمتلكه تلك الحضارة من ارث كبير يسهم في تفعيل الجانب السياحي والثقافي مستقبلا.

رابعا: المقترحات:

1.العود الأبدي في منحوتات بلاد النيل وبلاد النهرين (دراسة مقارنة)

2.فكرة العود الأبدي وأثرها الرمزي في فنون بلاد النهرين.

المصادر:

صامؤيل نوح كريمر، السومريون تأريخهم وحضارتهم وخصائصهم، تر: فيصل الوائلي، الكويت: دار غريب، 1973.

ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مصر: مكتبة الشروق الدولية، 2004.

جميل صليبا، المعجم الفلسفي،ج1، ج2، بيروت:دار الكتاب اللبناني، 1982.

أبراهيم مدكور وآخرون، المعجم الفلسفي، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، 1983.

عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، القاهرة: مكتبة مدبولي ، 2000.

أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، المجلد الاول، ط2، بيروت: منشورا عويدات، 2001.

يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مصر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ب ت، ص29.

مصطفى النشار، المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، ط1، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1997.

غاستونماسبيرو، تاريخ المشرق، تر:احمد زكي، القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2017.

عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مصر: مكتبة مدبولي، ط3، 2000، ص569.

عبد الرحمن بدوي ، نيتشة، ط5، الكويت: وكالة المطبوعات، 1975.

هنري فرانكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة، تر:جبرا إبراهيم جبرا، ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1980.

خزعل الماجدي، العود الأبدي، عمان: دار فضاءات للنشر والتوزيع، 2017.

فراس السواح، دين الإنسان،ط4، سوريا: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2002.

الكسندر هايدل، الخليقة البابلية، ت:ثامر مهدي محمد،ط1، بغداد: بيت الحكمة،200.

صموئيل نوح كريمر، إناناودمونزي طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ت: نهاد خياطة، ط2، دمشق: دار علاء الدين، 2007.

مرسيا الياد، اسطورة العود الأبدي، تر: نهاد خياطة، ط1، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1987.

طه باقر ملحمة كلكامش، ط4، بغداد:وزارة الثقافة والإعلام، 1980.

هاري ساكز، عظمة بابل، تر:عامر سليمان، ط2، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر،1979.

مرسيا الياد، مظاهر الأسطورة، ط1، تر: نهاد خياطة، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر، 1991.

فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان الكتاب الثاني، ط4،دمشق: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، 2017.

شمس الدين الكيلاني، من العود الأبدي إلى الوعي التاريخي، ط1، بيروت: دار الكنوز الادبية، 1998.

فراس السواح، لغز عشتار الالوهة المؤنثة واصل الدين والأسطورة، ط1، دمشق: دار علاء الدين، 1985.

رينيهلابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، تر: الأب البيرابونا ،وليد الجادر، بغداد: 1988.

صبحي انور رشيد، حياة علي الحوري، الأختام الاكدية في المتحف العراقي، العراق: وزارة الثقافة والإعلام ، 1982.